لغة القرآن مكانتها والأخطار التي تهددها

الدكتور

إبراهيم بن محمد أبو عباة

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِين * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.

[الشعراء: ١٩٣-١٩٥]

وأصلي وأسلم على أشرف الخلق، وأفصح العرب، محمد بن عبد الله، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وبعد:

طلب مني قبل سبع سنوات أن ألقي محاضرة في أحد المراكز الصيفية، فقبلت الدعوة، ورحبت بها، وكنت آنذاك ما زلت مشغولا بالتفكير في لغة القرآن، وهي المادة التي كنت أدرسها في الجامعة، فما رأيت موضوعًا أنسب من الحديث عن مكانة اللغة العربية، ومحاولات أعداء الإسلام وأعدائها لهدمها وتدميرها، والذي دفعني إلى ذلك ما كنت أسمعه وأراه من إخوتي وأحبتي الطلاب من تذمر وشكوى من صعوبة اللغة العربية، وعدم الاهتمام بها، والإقبال عليها إلا من أجل الامتحان فقط.

فرأيت، بعد أن وجدت عندي فسحة في الوقت، أن أعيد النظر في الموضوع، وأن أخرجه في رسالة صغيرة بعد أن أجريت عليه بعض التعديلات والتحسينات، ووثقت نقوله ونصوصه.

وكان هدفي من نشره وإخراجه مع صغر حجمه أن يدرك

طلاب العلم ما لهذه اللغة من مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، فهي ليست كبقية اللغات الأخرى، لكونها لغة دين شرفها الله، بأن اختارها لتكون لغة آخر الكتب السماوية، قرآننا الكريم، فهي وإن كانت لسان العرب إلا أنها لغة ا لمسلمين بها يقرؤون كتابهم، ويتقربون إلى ربهم بالدعاء والعبادة، ومن أجل هذه الخاصية و الميزة أقبل عليها ملايين المسلمين لتعلمها، وخدمتها وما هذا التراث الإسلامي العظيم والإرث الحضاري الضخم إلا نتيجة إقبال المسلمين على هذه اللغة، وانقطاعهم لخدمتها ابتغاء ما عند الله فهي إذن لغة القرآن، ولغة السنة، ولغة ديننا العظيم، وليست ملكًا لنا معشر العرب، بل هي لغة المسلمين في كل مكان.

وبعد أن أكدت هذه القضية، رأيت أن أبين علاقة هذه اللغة بعلوم الإسلام المختلفة من تفسير، وحديث، وفقه، وأصول. وأوضحت في ثنايا الدراسة متانة العلاقة، وقوة الرابطة بين العلوم الشرعية المختلفة، وبين اللغة العربية.

ثم انتقلت إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي الإشارة إلى ما يضمره أعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين والمستغربين من كيد وشر، لهذه اللغة، وما يبرمونه من تخطيط وتآمر من أجل تدمير هذه اللغة، لغة القرآن والنيل منها.

لقد أدرك أعداء الإسلام مكانة هذه اللغة وأثرها في توحيد المسلمين وعلاقتها المتينة بعلوم الإسلام الأخرى فراحوا يفكرون في كيفية ضرب هذه اللغة، وتدميرها من أجل قطع الصلاة بين حاضر

المسلمين وماضيهم المشرق، أراد أعداؤنا أن يحطموا الجسور الموصلة بين المسلمين وتراثهم الإسلامي الضخم، فتظاهروا بحبهم للغة، وإخلاصهم لها، وغيرتهم عليها، فدعوا إلى العاميات وإحياء اللهجات، وإلى إلغاء الحرف العربي والاستعاضة عنه بالحرف اللاتيني ثم دعوا بعد ذلك إلى تطوير اللغة، وتجديدها وإصلاحها، وتيسيرها كل هذا من أجل القضاء على لغة القرآن.

ومن ثم إقصاء القرآن وإبعاده عن التأثير في حياة الأمة، لكونهم يعلمون جيدًا أنه مصدر عزة المسلمين.

وتراهم أحيانًا يصرحون بهذا دون حياء أو خجل أو خوف. يقول: "وليم جيفور وبلجراف" متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه، ولا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته..!!

وهم يدركون أثر القرآن في هذه اللغة، وسر العلاقة بينهما، يقول أحدهم وهو مستر "سيديو" "إن اللغة العربية حافظت على وجودها وصفائها بفضل القرآن، ومن ثم فإن كل هذه المحاولات لإفساد جورها هي بمثابة هجوم على الإسلام يختفى وراء عبارات كاذبة مضللة"..

إذن هدفهم هو قرآننا وإسلامنا.

لقد أردت بهذا العمل الصغير المتواضع أن أهيب بأبنائنا أن يهبوا لخدمة هذه اللغة، ويعلموا أن تعلمها وخدمتها والدفاع عنها

ضرب من ضروب العبادة إذا ما ابتغي بكل ذلك وجه الله والـــدار الآخرة.

اسأل الله عز وجل، أن يوفق أبناء الأمة للحفاظ على لغتهم من كيد الكائدين، وخطط المتآمرين، وأن يرد عنها ســـهام الأعـــداء وحراب المتربصين.

كما نسأله أن يحفظ علينا ديننا، ويرزقنا الصـــدق في القـــول والعمل.

كما أسأله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهـــه الكـــريم، وأن يجعله رصيدًا لي في ميزان حسناتي يوم ألقاه، إنه سميع مجيب

وكتبه

إبراهيم بن محمد أبو عباة

١٤١٢/٦/٢٧هـ

لغــــة القــــرآن

مكانتها . والأخطار . التي تهددها

مكانة اللغة

للغة العربية مكانة سامية، ومنزلة رفيعة في نفوس أبنائها المحبين لها، والغيورين عليها، والعارفين قدرها وقيمتها، وذلك لكونها لغة القرآن، بها تنزل على محمد بن عبد الله، ﷺ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] وقد أرسل الله عز وجل رسوله، ﷺ للناس كافة بشيرًا ونذيرًا، و لم يرسل إلى العرب خاصة، كما يصور ذلك بعض الجهلة أو الحاقدين، إنما أرسل لجميع البشر، عربهم وعجمهم، وهو عليه الصلاة والسلام، آخر الأنبياء فجاءت رسالته كاملة شاملة.

الفصحى لغة القرآن

وقد اختار الله، عز وجل، اللغة العربية لتكون لغة آخر كتبه، لغة القرآن الكريم ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ..﴾.

وهذا الاختيار من الحق عز وجل، لهذه اللغة إنما يعود إلى ما تمتاز به من مرونة واتساع، وقدرة على الاشتقاق والنحت والتصريف، وغنى في المفردات والصيغ والأوزان.

يقول عباس محمود العقاد: "فإذا قيس اللسان العربي بمقاييس علم الألسنة فليس في اللغات لغة أوفي منه بشروط اللغة في ألفاظها، وقواعدها، ويحق لنا أن نعتبر أنها أوفى اللغات جميعها، بمقياس بسيط واضح، لا خلاف عليه، وهو مقياس جهاز النطق في الإنسان، فإن اللغة العربية تستخدم هذا الجهاز الإنساني على أتمه وأحسنه، ولا

تهمل وظيفة واحدة من وظائفه، كما يحدث ذلك في أكثر الأبجديات اللغوية، فلا التباس في حرف من حروفها بين مخرجين، ولا في مخرج من مخارجها بين حرفين.. وقد تشاركها اللغات في بعض هذه المزايا، ولكنها لا تجمعها كما جمعتها، ولا تفوقها في واحدة منها.." [١].

ويقول ابن فارس: "قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلا نبي، وهذا كلام حري أن يكون صحيحًا وما بلغنا أن أحدًا ممن مضى ادعى حفظ اللغة كلها.." [٢] وقال: "وقال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب، والتقديم والتأخير، وغيرها من سنن العرب في القرآن. فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عز وجل، بالعربية لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب " [٣].

".. ومما لا يمكن نقله البتة أوصاف السيف والأسد والرمح، وغير ذلك من الأسماء المترادفة، ومن المعلوم أن العجم لا تعرف للأسد اسمًا غير واحد أما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم، وحدثني أحمد بن محمد بن بندار، قال: سمعت أبا عبد الله بن خالويه

---

(١) انظر: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب (١١، ١٢).
(٢) انظر: الصاحبي ص (٢٦) وقد نقله السيوطي في المزهر (٦٤/١).
(٣) انظر: الصاحبي (١٧).

الهمذاني يقول: جمعت للأسد خمس مائة اسم وللحية مائتين.. [١].

هذه الخصائص الفريدة والمزايا الكثيرة هي التي رشحت هذه اللغة لتكون لغة القرآن الكريم، فشرفت بهذا الاختيار، وازدادت سموا ورفعة.

فضل القرآن على العربية

للقرآن الكريم الفضل بعد الله، سبحانه وتعالى، في المحافظة على اللغة العربية، إذ بقيت مع مرور الزمن شابة فتية، فقد حفظها القرآن من الضعف، كما حفظها من الضياع.

يقول فيليب دي طرازي: "أصبح المسلمون بقوة القرآن أمة متوحدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها فقد جمع شتات العرب، ومن المقرر أنه لولا القرآن لما انتشرت اللغة الفصحى في الخافقين، ولولا القرآن لما أقبل الألوف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودراستها والتعامل بها، ولولا القرآن لظل أهل كل بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر، وقد حفظ القرآن التفاهم بالعربية بين الشعوب الإسلامية وبين العرب..[٢].

ويقول سيديو: «إن اللغة العربية حافظت على وجودها وصفائها بفضل القرآن» [٣].

---

(١) انظر: الصاحبي (٢١).
(٢) انظر: الفحصى لغة القرآن (٣٢).
(٣) انظر: المؤامرة على الفصحى (١٨).
(١٦٨/٢) والبيان والتبيين (١٧٠/١) قال العباس للنبي ﷺ: فيم الجمال؟ قال: في اللسان"

وقد أثبتت جميع الدراسات اللغوية أن سبب نشأة اللغة العربية ونموها واتساعها وشمولها هو القرآن الكريم قبل غيره..

** * **

موقف السلف من اللغة العربية

لقد عنى سلفنا الصالح، من خلفاء وأمراء، وعلماء، بلغة القرآن واهتموا بها اهتمامًا كبيرًا، وأولوها عناية خاصة، لما لها من مكانة عظيمة في نفوسهم، فأقبلوا على خدمتها، وتسابقوا في الدفاع عنها، حتى الأعاجم أقبلوا بشغف شديد ورغبة قوية على تعلم هذه اللغة وخدمتها فأتقنوها وقاموا بالتأليف في علومها المختلفة، يدفعهم لذلك محبتهم لهذه اللغة التي هي لغة دينهم وكتاب ربهم، فأيقنوا أن دراستها وتدريسها والتأليف بها وخدمتها بأي شكل من الأشكال ضرب من ضروب العبادة يتقربون به إلى الله عز وجل.

وقد نقلت لنا أقوال كثيرة عن سلف هذه الأمة الأخيار توضح لنا نظرتهم العميقة إلى هذه اللغة، وأنهم ينزلونها من نفوسهم منزلة رفيعة تتناسب ومكانتها العالية.

فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: «تفقهوا في العربية فإنها تزيد في العقل، وتثبت المروءة..» (١)

---

(١) انظر: معجم الأدباء (٧٧/١) وطبقات النحويين (١٣) وتنبيه الألباب (٧٠) والإيضاح في علل النحو (٩٦).

ويقول: «تفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي..»[١].

وقال الحسين بن علي رضي الله عنه: «تعلموا العربية فإنها لسان الله الذي يخاطب به الناس يوم القيامة...» [٢].

وروي عن ابن شبرمة أنه قال: «إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرًا ويصغر من كان في عينك عظيمًا فتعلم العربية فإنها تجريك على المنطق وتدنيك من السلطان..» [٣].

ويقول ابن سيرين: «ما رأيت على رجل أحسن من فصاحة ولا على امرأة أحسن من شحم» [٤]

وقال شعبة: «مثل الذي يتعلم الحديث ولا يتعلم النحو مثل البرنس لا رأس له..» [٥].

وقال ثعلب: سمعت محمد بن سلام يقول: «ما أحدث الناس مروءة أفضل من طلب النحو..» [٦]

وهذا التابعي الجليل قتادة يقول: "لا أسأل عن عقل رجل لم يدله عقله على أن يتعلم من العربية ما يصلح به لسانه [٧].

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٧).
(٢) انظر: تنبيه الألباب (٧٧).
(٣) انظر: عيون الأخبار (١٥٧/٢) وتنبيه الألباب (٩٦) وبهجة المجالس (٦٦/١).
(٤) انظر عيون الأخبار (١٥٧).
(٥) انظر: بهجة المجالس (٦٤/١).
(٦) انظر: بهجة المجالس (٦٥/١).
(٧) انظر: تنبيه الألباب (٧١).

وقال المأمون لأحد أولاده: «ما على أحدكم أن يتعلم العربية ، فيقيم بها أوده ، ويزين بها مشهده ، ويفل بها حجج خصمه بمسكتات حكمه ، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه ، أو يسر أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وأمته..» (١).

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: «تعلموا العربية كما تتعلمون حفظ القرآن..» (٢).

وقد كره الشافعي لمن يعرف اللغة العربية أن يسمى بغيرها وأن يتكلم بها خالطًا لها بالعجمية.. (٣).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ولأهل الدار وللرجل مع صاحبه.. فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم..» (٤).

ويقول أيضًا: «واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرًا قويًا بينًا ويؤثر في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق.. وأيضًا فإن اللغة العربية نفسها من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب

---

(١) انظر: بهجة المجالس (١/٦٤).
(٢) انظر: تنبيه الألباب (٧٦).
(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٥).
(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٦).

إلا به فهو واجب..» [١].

موقف السلف من اللحن

كان سلفنا الصالح يحرصون أشد الحرص على سلامة اللغة وإبعادها عن مواطن الانحراف والزلل، ويعدون اللحن كبيرة تخدش مكانة اللاحن وسمعته، وقد مر علينا قول الرسول ﷺ: «**أرشدوا أخاكم فقد ضل**» قاله عندما لحن رجل بحضرته.. واعتبر الخروج على القاعدة ومقارفة اللحن ضلالا ، وطلب ممن حوله من الصحابة أن يرشدوه إلى الطريق الصحيح.

وهذا أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، يقول: «لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن..» [٢].

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لقوم استقبح رميهم: ما أسوأ رميكم، فيقولون: نحن قوم (متعلمين) فيقول: "لحنكم أشد علي من فساد رميكم" [٣].

وروي أن كاتبًا لأبي موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: «من أبو موسى» فكتب عمر إلى أبي موسى، رضي الله عنهما: إذا أتاك كتابي هذا فاضربه سوطًا واصرفه عن عملك [٤].

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٧).
(٢) انظر: مراتب النحويين (٢٣) والمزهر (٢/٢٩٧) وتنبيه الألباب (٨٩).
(٣) انظر: الأضداد (٢٤٤).
(٤) انظر: تنبيه الألباب (٨٩) مراتب النحويين (٢٣).

وقال عمر بن عبد العزيز: «إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها ، وكأني أقضم حب الرمان الحامض لبغضي استماع اللحن. ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجبها فأجيبه إليها التذاذًا لما أسمع من كلامه..» وقال يرحمه الله: «أكاد أضرس إذا سمعت اللحن..» [١].

وكان ابن عمر رضي الله عنه يضرب ولده على اللحن [٢].

وقيل إن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أيضًا كان يضرب ولده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ [٣].

ومن الشواهد: على ازدراء سلفنا للذين يلحنون ما يروون: "أن رجلاً من علية أهل الشام استأذن على عبد الملك بن مروان وبين يديه قوم يلعبون بالشطرنج فقال: يا غلام غطها فلما دخل الرجل فتكلم فلحن فقال عبد الملك: يا غلام اكشف عنها الغطاء فليس للاحن حرمة.. [٤].

ويروى عن أبان بن عثمان: أنه قال: «اللحن في الرجل السري كالتغيير في الثوب الجديد» [٥].

---

(١) المزهر (٢/٢٩٧) والبيان والتبيين (٢/٢١٦) الإيضاح (٩٦). انظر الأضداد (٢٤٤، ٢٤٥).

(٢) انظر: معجم الأدباء (١/٨٩) الأضداد (٢٤٤) بهجة المجالس (١/٦٤) ألف باء (٤٣) تنبيه الألباب (٧٣).

(٣) انظر: معجم الأدباء (١/٧٩) تنبيه الألباب (٩٤).

(٤) انظر: الأضاد (٢٤٥).

(٥) انظر طبقات النحويين (١٣).

وقال ابن شبرمة: «إن الرجل ليلحن وعليه الخز الأدكن فكأن عليه أخلاقًا ، ويعرب وعليه أخلاق فكأن عليه الخز الأدكن..» (١).

وعن الخليل بن أحمد: أنه قال: لحن أيوب السختياني في حرف فقال: استغفر الله (٢) ولحن محمد بن سعد بن أبي وقاص لحنة فقال: أحس أني لأجد حرارتها في حلقي (٣).

وهذا عبد الله بن المبارك يقول: «اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدري في الوجه..» (٤).

وروي عن الشعبي يرحمه الله أنه قال: «اللحن في الشريف كالجدري في الوجه، والجدري في الوجه خير من اللحن في اللسان..» (٥).

وهذا الأصمعي يقول: "أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي ﷺ «**من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» لأنه لم يكن يلحن فمهما رويت عنه ولحنت فقد كذبت عليه.." (٦).

ودخل أبو الأسود السوق فرأى أعدالاً للتجار مكتوبًا عليها

---

(١) انظر طبقات النحويين (١٣).
(٢) انظر: تنبيه الألباب (٨٦) ألف باء (٤٢) معجم الأدباء (٧٩/١).
(٣) انظر: الأضداد (٢٤٥).
(٤) انظر: بهجة المجالس (٦٥/١) البيان والتبيين (٢١٦/٢) عيون الأخبار (١٥٨/٢).
(٥) انظر: تنبيه الألباب (١٢١).
(٦) انظر: معجم الأدباء (٩٠/١، ٩١) ألف باء (٤٢/١).

(لأبو فلان) فقال: «سبحان الله يلحنون ويربحون..» [(١)].

وقال بعض السلف: «ربما دعوت فلحنت فأخاف ألا يستجاب لي..» [(٢)].

وسمع الأصمعي رجلا يدعو ربه، ويقول: يا ذو الجلال والإكرام فقال له: ما اسمك؟ قال: ليث، فقال الأصمعي.

ينـاجي ربه باللحن ليث   لذاك إذا دعاه لا يجيب [(٣)]

وسمع أعرابي إمامًا يقرأ: «ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا» بفتح التاء، فقال: سبحان الله هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده!! فقيل له: إنه لحن وإنما القراءة ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ بالضم فقال: قبحه الله لا تجعلوه بعدها إمامًا فإنه يحل ما حرم الله.. [(٤)].

وسمع أعرابي واليًا يخطب فلحن مرة أو اثنين فقال: «أشهد أنك ملكت بقدر..» [(٥)] وكان المأمون يتفقد ما تكتبه الكتاب فيسقط من لحن في كتابته، ويحط مقداره، ويرفع من كان معربًا [(٦)].

---

(١) انظر: بهجة المجالس (٦٥/١) وألف باء (٤٣/١) ومعجم الأدباء (٨٠/١) وعيون الأخبار (١٥٩/٢).
(٢) انظر: ألف باء (٤٣/١) وتنبيه الألباب (٩٤).
(٣) انظر: ألف باء (٤٣/١).
(٤) انظر: عيون الأخبار (١٦٠/٢) وألف باء (٤٣/١) ومقدمة الصقلي (٣٩/٣٨).
(٥)انظر عيون الأخبار (١٦٠/٢) وتنبيه الألباب (١٢٤) ومعجم الأدباء (٨٤/١).
(٦) انظر: تنبيه الألباب (١٣٠).

علاقة العربية بعلوم الإسلام

اللسان العربي هو شعار الإسلام، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [(١)] واللغة العربية من الدين لا تنفصل عنه، ولا ينفصل عنها بل هي الدين بعينه، كما يقول أبو عمرو بن العلاء [(٢)] فقد نزل بها كتاب ربنا، وأصبح تعلمها وإتقانها ومعرفة قواعدها وأسرارها فرضًا واجبًا، لأن فهم الكتاب والسنة ومعرفة أحكام الدين من الأمور المتعينة على المسلم. وهذا لا يتم إلا بفهم اللغة العربية لغة القرآن والدين والتراث.

وبهذا يتضح أن العلاقة بين اللغة العربية وعلوم الإسلام من تفسير، وحديث، وفقه وأصول، وغيرها من العلوم علاقة متينة جدًا لمن أراد أن يشتغل بأي من العلوم السابقة.

العربية والتفسير

يعد علم التفسير من العلوم المهمة والعظيمة لكونه يقوم على تفسير آي كتاب الله، وبيان مراده، وإيضاح مقاصده ومراميه، فهو من أشرف العلوم، وأجلها؛ لذا اعتنى به المسلمون عناية خاصة، وأولوه اهتمامًا بالغًا، ولا بد لمن يرغب في الاشتغال بتفسير كتاب الله تفسيرًا وتبيينًا وتحليلاً من معرفة قواعد اللغة نحوها وصرفها.

يقول السيوطي: في الإتقان: «يجوز تفسير القرآن لمن كان

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٦).
(٢) انظر: معجم الأدباء (٥٣/١، ٥٤).

جامعًا للعلوم التي يحتاج إليها المفسر، وهي خمسة عشر علمًا

أحدها: اللغة ؛ لأن بها يعـــرف شـــرح مفـــردات الألفـــاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

الثاني: النحو ؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره.

الثالث: التصريف ؛ لأن به تعرف الأبنية والصيغ»[١] .

وإلمام المفسر بهذه العلوم مهم غاية الأهمية لكونه من تمام العمل ، وعليه يترتب كماله وإتقانه على الوجه المطلوب.

ولا يجوز لمن لا يملك ثقافة نحوية ولغوية واسعة أن يقدم علـــى تفسير كتاب الله.

يقول يحيى بن نضلة المديني: سمعت مالك بن أنس يقول: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العـــرب إلا جعلتـــه نكالا..» [٢] .

وقال مجاهد: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إن لم يكن عالمًا بلغات العرب..» [٣] .

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قـــال: «لا يقـــرئ القرآن إلا عالم بلغة العرب..» [٤] .

---

(١) انظر: الاتقان (٢١٣/٤).
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢٩٢/١).
(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.
(٤) انظر: نزهة الألباء (٨).

والذي دفع أمير المؤمنين عمر أن يقول هذه المقالة ما روي أن أعرابيًا قدم إلى المدينة المنورة في خلافة أمير المؤمنين عمر فقال: من يقرئني مما أنزل على محمد ﷺ فأقرأه رجل سورة "براءة" فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بالجر فقال الأعرابي: «أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن بريء من رسوله فأنا أبرأ منه» فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن فسألت من يقرئني فأقرأني هذا سورة براءة فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾بالجر، فقلت: أو قد بريء الله تعالى من رسوله؟! إن يكن برئ من رسوله فأنا أبرأ منه. فقال له عمر رضي الله عنه: ليس هكذا يا أعرابي فقال كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما بريء الله ورسوله منه، فأمر عمر رضي الله عنه ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة..." [١] .

وكان الأصمعي يقول: «تعلموا النحو فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة قال الله عز وجل ، يا عيسى أنت نبي وأنا ولَّدْتُك بتشديد اللام معناها ، أوجدتك وخلقتك فخففوها فصار كفرًا..» [٢] .

فمعرفة اللغة والإلمام بقواعد النحو يعين المفسر على معرفة المعنى المراد والغرض المقصود.

---

(١) انظر نزهة الألباء (٨)

(٢) انظر: مقدمة الصقلي (٣٩) ومعجم الأدباء (١/٧١، ٧٢).

روى عكرمة عن ابن عباس قال: .. ما كنت أدري ما قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩] حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: «أفاتحك» يعني أقاضيك.. وقال أيضًا: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني عربيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها يعني ابتدأتها.

وجاءه رجل من هذيل فقال له ابن عباس: ما فعل فلان؟ قال: مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء. فقال ابن عباس: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] قال: «ولد الولد..» [(١)]

وبهذا تتضح العلاقة الوطيدة بين التفسير وعلوم اللغة، وأنها إنما نشأت بينهما عندما احتيج إلى ضبط القراءة خوفًا على القرآن الكريم من اللحن والخطأ.

* * *

العلاقة بين الفقه وعلوم اللغة

كما أن العلاقة بين التفسير وعلوم اللغة المختلفة واضحة كل الوضوح فإن العلاقة أيضًا بين الفقه وأصوله وبين علوم اللغة من نحو وصرف وغريب ليست بأقل من ذلك.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/٢٩٣).

فالفقيه كما يقول أبو العباس بن يحيى ثعلب يحتاج إلى اللغة حاجة شديدة [١] .

وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الحلال والحرام ، وفصل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم مما يأتون ويذرون ، ولا سبيل إلى معرفة ذلك، وكشف كنهه والغوص على معانيه وأسراره إلا بالتبحر في علوم اللغة [٢] .

يقول السيوطي: في الاقتراح ملخصًا رأي الإمام فخر الدين الرازي: اعلم أن معرفة اللغة والنحو والتصريف فرض كفاية لأن معرفة الأحكام الشرعية واجبة بالإجماع ومعرفة الأحكام دون معرفة أدلتها مستحيل. فلا بد من معرفة أدلتها والأدلة راجعة إلى الكتاب والسنة، وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم فإذن توقف العلم بالأحكام على الأدلة ومعرفة الأدلة تتوقف على معرفة اللغة والنحو والتصريف، وما يتوقف على الواجب المطلق وهو مقدور للمكلف فهو واجب، فإذن معرفة اللغة والنحو والتصريف واجبة.."[٣] .

ويقول أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي في كتابه (الإحكام): ".. وأما ما منه استمداده، يعني الأصول، فعلم الكلام والعربية، والأحكام الشرعية.. وأما علم العربية فلتوقف معرفة

---

(١) انظر: المزهر: (٣٠٢/٢).
(٢) انظر: ديوان الأدب (٧٢/١).
(٣) انظر: الاقتراح (٣٠).

دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة من جهة الحقيقـــة والمجـــاز.. وغيره مما لا يعرف في غير علم العربية.. "[١].

ويقول جمال الدين الإسنوي في (الكوكب الـــدري): «.. إن علم الحلال والحرام الذي به صلاح الدنيا والأخرى وهو المســـمى بعلم الفقه مستمد من علم أصول الفقه وعلم العربية.. فأما العربية فلأن أدلته من الكتاب والسنة عربية وحينئذ يتوقف فهم تلك الأدلة على فهمها والعلم بمدلولها على علمها..» [٢].

ومن الأمثلة: على الارتباط القوي بين علوم اللغة والفقه مـــا رواه ياقوت في معجمه قال: "كان الفراء يومًا عند محمد بن الحسن فتذاكرا في الفقه والنحو ففضل الفراء النحو على الفقه وفضل محمد بن الحسن الفقه على النحو وحتى قال الفراء: قلَّ رجل أنعم النظـــر في العربية وأراد علمًا غيره إلا سهل عليه. فقال محمد بن الحسن: يا أبا زكريا قد أنعمت النظر في العربية وأسألك عن باب من الفقه ، فقال: هات على بركة الله، تعالى فقال له: ما تقول في رجل صلى فسها في صلاته وسجد سجدتي السهو فسها فيهما فتفكر الفـــراء ساعة ثم قال: لا شيء عليه فقال له محمد: لم؟ قال: لأن التصـــغير ليس له تصغير، وإنما سجدتا السهو تمام الصلاة و ليس للتمام تمام. فقال محمد بن الحسن: ما ظننت آدميًا يلد مثلك.." [٣] .

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام (١/٧، ٨).
(٢) انظر: الكوكب الدري (١٨٥).
(٣) انظر: معجم الأدباء (١/٦٨، ٦٩).

وهذه حكاية أخرى من هذا النمط يدير فيها الكسائي قضية فقهية على مسألة نحوية: "كتب الرشيد إلى القاضي أبي يوسف يسأله عن قول الشاعر:

فإن ترفقي يا هند فالرفق أيمن   وإن تخرقي يا هند فالخرق أشأم
فأنت طلاق والطلاق عزيمة   ثلاثًا ومن يخرج أعق وأظلم

فقال: ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها؟

قال أبو يوسف: فقلت هذه مسألة نحوية فقهية ولا آمن الخطأ إن قلت فيها برأيي، فأتيت الكسائي وهو في فراشه فسألته. فقال: إن رفع (ثلاثًا) طلقت واحدة؛ لأنه قال أنت طلاق ثم أخبر أن الطلاق التام ثلاث، وإن نصبها طلقت ثلاثًا لأن معناه: أنت طالق ثلاثًا، وما بينهما جملة معترضة فكتب بذلك إلى الرشيد.." [١] .

وهذه مسألة أخرى جرت في مجالس الرشيد بين الكسائي وأبي يوسف. "أقبل الكسائي على أبي يوسف قال: يا أبا يوسف هل لك في مسألة قال: نحو أو فقه؟ قال: بل فقه. فضحك الرشيد حتى فحص برجله ثم قال: تلقي على أبي يوسف فقهًا، قال: نعم، قال يا أبا يوسف ما تقول لرجل قال لامرأته: أنت طالق، إن دخلت الدار؟ قال: إن دخلت الدار طلقت، قال: أخطأت يا أبا يوسف. فضحك الرشيد ثم قال: كيف الصواب؟ قال: إذا قال: "أن" فقد وجب الفعل، وإذا قال: "إن" فلم يجب، و لم يقع الطلاق..» [٢] .

---

(١) انظر: المغني (٥٣/١).
(٢) انظر: طبقات الزبيدي (١٢٧).

ومعرفة القاضي: ومن يتولى فك الخصومات وفض المنازعات والحكم بين الناس باللغة العربية أمر في غاية الأهمية. يقول ابن قتيبة: "ولو أن قائلاً قال: هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتلُ أخي بالإضافة لدل التنوين على أنه لم يقتله، ودل حذف التنوين على أنه قتله.. [١] .

وروي عن القاضي أبي عبيد بن حربويه أن رجلا ادعى مالا على رجل بحضرته، فقال المدعَى عليه: ما لُه عليَّ حق بضم اللام. فقال له القاضي أبو عبيد: أتعرف الإعراب؟ قال: نعم، قال: قم قد ألزمتك المال.."[٢] .

ويقول ابن يعيش نقلا عن محمد بن الحسن:

«.. أنه إذا قال أيُّ عبيدي ضربك فهو حر فضربه الجميع عُتقوا، ولو قال: أيَّ عبيدي ضربته فهو حر فضرب الجميع لم يعتق إلا الأول منهم..»[٣] .

ومن هذه الأمثلة: يتضح ضرورة أن يكون الفقيه على دراية تامة ومعرفة واسعة بقواعد العربية، لأن هذا سيعينه على حل كثير من المشكلات وفهم القضايا التي تعرض له.

---

(١) انظر تأويل مشكل القرآن (١٤).
(٢) انظر: تنبيه الألباب (٦٥).
(٣) انظر: شرح المفصل لابن يعيش (١/١٤) والكوكب الدري (٤١٨).

الأخطار التي تهدد

اللغة العربية

موقف أعداء الإسلام من لغة القرآن

لقد لفتت هذه العلاقة المتينة والرابطة القوية بين اللغة العربية وعلوم الإسلام المختلفة أنظار أعداء الإسلام فقاموا بالتخطيط والتدبير للهجوم على هذه اللغة بكل ما أوتوا من قوة، مستخدمين كل الوسائل الممكنة من أجل القضاء على هذه اللغة والنيل منها، لا لكونها لغة من اللغات الحية التي يتكلم بها قوم أو جنس معين بل لكونها لغة القرآن الكريم ولغة المسلمين التي يتوقف عليها فهم الدين، واستيعاب أحكامه وتعاليمه.

إن هدف أعداء الإسلام: من هجمتهم الشرسة على هذه اللغة إنما هو قطع الصلة، وتحطيم الجسور الواصلة بين المسلمين من العرب وغيرهم، وبين دينهم و تراثهم وحضارتهم، وليس لهم سبيل إلى ذلك إلا بإقصاء هذه اللغة والقضاء عليها.

فهدفهم إذن هو الإسلام: يقول واحد من المنصفين منهم هو مستر "سيديو" (إن اللغة العربية حافظت على وجودها وصفائها بفضل القرآن، ومن ثم فإن كل هذه المحاولات لإفساد جوهرها هي بمثابة هجوم على الإسلام، يتخفى وراء عبارات كاذبة مضللة) [١] .

هذا واحد من القوم يفصح عن هدف تلك الحملات

---

(١) انظر: المؤامرة على الفصحى (١٨).

والنداءات والصيحات التي تزعم الإصلاح والتطوير والتجديد ولكنها تخفي وراءها أهدافها الحقيقية، ومقاصدها الخبيثة الرامية إلى ضرب الإسلام وإضعافه.

وكان هاجس الوحدة بين المسلمين مما يقلق أعداء الإسلام، وبما أن هذه اللغة من العوامل الأساسية في توحيد الأمة الإسلامية رأى أعداء الإسلام أن تحطيم هذه اللغة سيساعد بلا شك في تفتيت الوحدة الكبرى المأمولة بين الشعوب الإسلامية وسيضعف الأمل في تحقيقها في العصر الحاضر.

وها هو أحد الغربيين يقول: «متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه ولا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته»[1] .

إذن هدف هؤلاء الأعداء هو إقصاء القرآن عن التأثير في حياة الأمة لا ليتدرجوا في سبيل الحضارة كما يزعمون، ولكن ليسهل عليهم إذلال هذه الأمة وضمان تبعيتها للغرب والشرق.

وما علم هؤلاء أن هذا الدين هو سر قوة هذه الأمة ومصدر عزها، وأنه ممكن بإذن الله، ومكتوب له الظهور وأن هذا الكتاب محفوظ بحفظ الله ورعايته ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ويقول عز من قائل ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

(١) انظر: الفصحى لغة القرآن (١٦٦) وأباطيل وأسمار (١٥٨).

[التوبة: ٣٣].

وهذا الحاكم الفرنسي في الجزائر: يقول في ذكري مرور مائة سنة على استعمار الجزائر "إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم" [١].

وقد بذلت فرنسا جهودًا كبيرة خلال مدة احتلالها للجزائر التي زادت على مائة وثلاثين سنة، من أجل إبعاد المسلمين عن دينهم، فقد قاموا بتحويل أكبر مسجد فيها إلى "كاتدرائية" وأصدرت هيئة البريد الفرنسي طابعًا تذكاريًا يمثل الهلال رمز الإسلام، وهو يسقط منحدرًا إلى قاع البحر. على حين يرتفع الصليب إلى أعلى ليغمر بسناه الأفق.

وعملوا جاهدين على تكريس ثقافتهم وفكرهم وحضارتهم ولغتهم من أجل صياغة جيل جديد،، لا يعرف دينه وثقافته ولغته إلا أن الله عز وجل، رد كيدهم في نحورهم، فها نحن نرى الجزائر المسلمة تعود إلى ربها طائعة مختارة، وها هو الشعب الجزائري المسلم يحدد هويته ويؤكد انتماءه العربي الإسلامي، ويعلن رفضه المطلق لكل فكر دخيل، وثقافة مستوردة، فرضت عليه بالقوة، ليؤكد بهذا أن جذوة الإيمان حية متوقدة لا تنطفئ أبدًا مهما حاول الأعداء وبذلوا من جهود وإمكانات ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ..﴾ [الرعد: ١٧].

---

(١) انظر: قادة الغرب يقولون (٣١).

وإمعانًا من أعداء الإسلام في الكيد للإسلام، وأمتـــه، ولغتـــه اتخذوا بعض الإجراءات الصارمة في بعض البلاد الخاضعة لنفوذهم وسلطانهم تتعلق بمنع استعمال اللغة العربية، وعدوا تعلم العربيـــة أو تعليمها في بعض البلاد في فترات معينة جريمة يعاقب عليها القانون.

ففي الحبشة مثلا وبالتحديد في عهد "هيلاسيلاســـي" منـــع تدريس اللغة العربية، وأُجبر المسلمون على تعلـــم وتعلـــيم اللغـــة الأمهرية. ويعيد التاريخ نفسه بعد عشرات السنين فها هـــو قائـــد الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا الصليبي "أسياس أفورقي" قد أصـــدر قرارًا يقضي بإلغاء اللغة العربية في أريتريا واســـتبدل بهـــا اللغـــة الإنجليزية، وقد عد المخلصون من أبناء الأمة هذا القرار تحديًا سافرًا للمسلمين، وجاء ليستهدف في المقام الأول دين الأمة وعقيـــدتها، وقد جاء على لسان أحد المسؤولين الكبار تعليقًا على هذا القـــرار يقول:" إن إلغاء اللغة العربية يساوي إلغاء دور الإسلام والمسلمين في أريتريا".

من هذا يتضح أن المؤامرة على الفصحى إنما هي مؤامرة على الإسلام، وأن هذه المؤامرة مرتبطة بالاستعمار وخططـــه والتبشـــير وأهدافه.

والعجب في الأمر أن الذين يحملون لواء محاربة اللغة أكثـــرهم من غير المسلمين، ومع هذا يتظاهرون بالإصلاح، وأنهم إنما يريدون للأمة الخير والتقدم ! ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَـــالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

وسائل الأعداء في محاربة اللغة

سلك أعداء الإسلام وخصوم الفصحى سبلاً شتى وطرقًا مختلفة في حربهم للغة القرآن، ومن تلك الوسائل

١- الدعوة إلى العامية وإحياء اللهجات المحلية:

اهتم أعداء الفصحى بالدعوة إلى هجر الفصحى وإقصائها من حياتهم، لأنها سبب تأخرهم والعائق دون تقدمهم ولحاقهم بركب الحضارة، ودعوا في الوقت نفسه إلى إحياء العامية واستخدامها في التأليف والمخاطبة، وألفوا في ذلك المحاضرات، وعقدوا الندوات، وألفوا الكتب، وكتبوا التقارير.

وأول من دعا إلى ذلك وألف فيه الدكتور/ ولهلم سبيتا الألماني الجنسية والذي كان مديرًا لدار الكتب المصرية، ففي سنة ١٨٨٠م وضع كتابًا عنوانه "قواعد العربية العامية في مصر [١].

وهذا الكتاب يعده الباحثون أول محاولة جدية لدراسة لهجة من اللهجات العربية المحلية، ودعا سبيتا في كتابه إلى اتخاذ العامية لغة أدبية بحجة صعوبة اللغة العربية الفصحى، وأشار بطريقة ماكرة إلى فتح العرب لمصر، ونشر لغتهم العربية بين أهلها، وقضائها على اللغة القبطية لغة البلاد الأصلية، وهو يحاول بهذا إثارة العنصرية العرقية المصرية ضد اللغة العربية.

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة إلى العامية (١٨) وأجنحة المكر الثلاثة (٢٩٩) الفصحى لغة القرآن (١٣٠) وأباطيل وأسمار (١٦٢) .

وقد تلا مستر سبيتا في الدعوة إلى العامية "اللورد دوفرين" (١) الوزير البريطاني الذي قام بزيارة مصر في أول سنوات الاحتلال، وبالتحديد عام ١٨٨٢م. فرفع بعد زيارته تقريرًا إلى وزير الخارجية البريطاني دعا فيه إلى معارضة الفصحى، وتشجيع لهجة مصر العامية، ومما جاء في تقريره قوله:

«إن أمل التقدم ضعيف في مصر، طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية، لغة القرآن، كما هو في الوقت الحاضر..».

وفي سنة ١٨٩٠ وضع الدكتور/ "كارل فولرس" (٢) الألماني كتابًا عن اللهجة العربية الحديثة في مصر. وقد كتبه بالألمانية ثم ترجم إلى الإنجليزية سنة ١٨٩٥م.

وقد نهج فولرس نهج سبيتًا فاستنبط حروفًا لاتينية لكتابة العامية، ودرس قواعدها واقتصر على دراسة لهجة أهل القاهرة.. وقد وصف الفصحى بالجمود والتخلف كما فعل سلفه.

ثم جاء "ويليام ويلكوكس" (٣) الذي كان مهندسًا للري في القاهرة إبان الاحتلال البريطاني وقد وفد إلى مصر سنة ١٨٨٣ قادمًا من الهند، وظل بها إلى أن مات سنة ١٩٣٢ م أمضى تسعة وأربعين عامًا من حياته قضاها في عمل دائب وجهد متواصل من

(١) انظر: المؤامرة على الفصحى (٤) الفصحى لغة القرآن (١٢٧) أجنحة المكر الثلاثة (٣٠١).

(٢) انظر: تاريخ الدعوة إلى العامية (٢٤) وأجنحة المكر الثلاثة (٣٠٢).

(٣) انظر: الفصحى لغة القرآن (١٢٧) أجنحة المكر الثلاثة (٣٠٤) تاريخ الدعوة ٣٢ المؤامرة على الفصحة (٤).

أجل دعوته إلى مهاجمة اللغة العربية والتبشير بدينه الفاسد.

وقد اشترى من أجل ترويج أفكاره ونشر سمومه مجلة خاصة كانت تصدر من قبلُ هي (الأزهر) وعاونه فيها بعض المسلمين.

ويعد "ويلكوكس" من أطول المبشرين نفسًا وأكثرهم إلحاحًا فقد بذل جهودًا كبيرة بين التأليف والمحاضرات من أجل دعوته.

وقد ألقى "ويلكوكس" عام ١٨٩٣م محاضرة عنوانها: "لماذا لا توجد قوة الاختراع عند المصريين.؟! ونشر هذه المحاضرة في مجلة الأزهر [1] ومما جاء في المحاضرة قوله: «وأنتم أيها المصريون لن تزالوا قادرين على إيجاد قوة الاختراع لديكم كما فعلت انجلترا فإنه يوجد فيكم أناس كثيرون توافرت فيهم الشروط، ولكن بسبب عدم وجود لسان علمي مشهور فيما بينكم لم تحصلوا على شيء وأضعتم عملكم سدى.. والسبب في ذلك أن الكتب العلمية الدنيوية يؤلفها أربابها بكلام مثل الجبال، وفي آخر الأمر لا يلد هذا الكلام الصعب إلا فأرًا صغيرًا، وما نشأ ذلك إلا من كون اللسان العلمي غير مشهور فيما بين العامة، فبمجرد وضع الأفكار في الكتب تموت و لم تعد تحيا فكأنهم يكفنونها في الورق ويدفنونها في جلود الكتب.." ويواصل محاضرته قائلاً:

".. وأقول لكم إذا جنحتم إلى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم وتركتم هذه اللغة الضعيفة تنجحون كثيرًا".

---

(١) انظر: أباطيل وأسمار (١٦٥).

والذي يريد أن يصل له "ويلكوكس" هو القضاء على لغة القرآن، وإحلال العامية محلها ، لا لكي توجد عندهم قوة الاختراع كما يزعم، ولكنه من أجل حرمان الأمة من تراثها الديني الضخم المكتوب باللغة العربية.

وفي سنة ١٩٢٦ نشر "ويلكوكس" رسالة بعنوان: "سوريا ومصر وشمال أفريقيا تتكلم البونية لا العربية" وقد وجه الدعوة في هذه الرسالة إلى ضرورة اتخاذ العامية لغة للتعلم بدل العربية الفصحى. واقترح تحديد مدة زمنية مقدارها عشر سنوات، ورأى أن هذه المدة كفيلة بتخليص المصريين من الصخرة الثقيلة التي يعانون منها باستخدام العربية الفصحى.

ثم تلا "ويلكوكس" القاضي الإنجليزي "سلدن ولمور" [(١)] حيث قام بوضع كتاب بالإنجليزية عن العامية عنوانه: "العربية المحكمية في مصر".

ومما جاء في كتابه: "ومن الحكمة أن ندع جانبًا كل حكم خاطئ وجه إلى العامية، وأن نقبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد على الأقل في الأغراض المدنية التي ليست لها صبغة دينية.."

ثم أخذ يردد الشكوى من صعوبة اللغة العربية تمهيدًا للدعوة إلى نبذها والعدول عنها إلى العامية. وقد زعم أن سبب انتشار الأمية في البلاد التي تتكلم العربية هو صعوبة الفصحى.

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة إلى العامية (٢٥) أجنحة المكر الثلاثة (٣٠٣) الفصحى لغة القرآن (١٣١).

وفي سنة ١٩٢٦م اشترك "باول" [١] وهو إنجليزي كان يعمل قاضيًا بالمحاكم الأهلية بالقاهرة هو وزميله "فيلوت" أستاذ اللغات الشرقية بجامعة (كمبردج) في وضع كتاب باللغة الإنجليزية أسمياه المقتضب في عربية مصر، وهو يتناول الدعوة إلى اتخاذ العامية بدلا من الفصحى، وقد حاولا في كتابهما أن يضعا قواعد لتسهيل تعليم اللغة العامية.. و لم ينسيا أن يذكرا بألم وحرقة ما تعانيه اللغة العربية من صعوبة.

و لم يقف الأمر عند هذه الجهود الفردية، بل إن حكومات الاحتلال قد سعت وشجعت إنشاء جرائد باللغة الدارجة، وقد صدر منها عام ١٩٠٠م وحده سبع عشرة جريدة [٢] .

وقد رحب بهذه الدعوة وتبناها عدد من العرب من المستغربين والمأجورين والمخدوعين، ولكن أكثرهم ممن يتفقون مع أصحاب الفكرة الأولى في العقيدة والدين فهم إخوانهم وإن كان لسانهم عربيًا إلا أنهم يحملون في قلوبهم الحقد والكراهية لأمة الإسلام، لدينهم وكتابهم ولهذا فليس غريبًا أن يؤيد هؤلاء إخوانهم فالهدف واحد.

لقد تبني فكرة الدعوة إلى العامية عدد من العرب أمثال: سلامة موسى الذي أثنى على "ويلكوكس" وأشاد بجهوده، وعده أحد المخلصين لمصر. ومما قاله: "والهم الكبير الذي يشغل باله بل يقلقه،

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة إلى العامية (٣٠) وأجنحة المكر الثلاثة (٣٠٤).
(٢) انظر: الفصحى لغة القرآن (١٢٧).

يعني "ويلكوكس" هو هذه اللغة التي نكتبها ولا نتكلمهـــا، فهـــو يرغب في أن نهجرها ونعود إلى لغتنا العامية، فنؤلف بها وندون بها آدابنا وعلومنا.. (١) .

ثم قام بعده أحمد لطفي السيد (٢) الذي يعد من أوائل المصريين الذين حملوا لواء الدعوة إلى العامية بعد أن مهد لها أعداء الإســـلام واللغة من المستشرقين.

وقد دعا إلى تمصير اللغة العربية وكتب في ذلك عـــددًا مـــن المقالات نشرت عام ١٩١٣م في صحيفة "الجريدة".

ثم جاء بعد ذلك قاسم أمين، والخوري مارون غصن، ومحمود تيمور، وسعيد عقل، وأنيس فريحة، ولويس عويض (٣) .. وغيرهم.

وقد اهتم هؤلاء وأولئك بدراسة اللهجات العربيـــة المحليـــة، وأولوا هذا الأمر عناية خاصة، فأدخلوا تدريس تلك اللـــهجات في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم، بل وأنشـــأوا مـــدارس خاصـــة لدراسة هذه اللهجات.

ففي إيطاليا مثلاً درست العربية العامية في مدرســـة نـــابولي للدروس الشرقية، وفي فرنسا درست اللهجات العربية العاميـــة في

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة إلى العامية (١١٨).

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة (٣٠٧) والفصحة لغة القرآن (١٤٨).

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة (٣٠٧) والفصحى لغة القرآن (١٧٠) والمؤامرة على الفصحى (٨).

مدرسة باريس للغات الشرقية الحية [١] والمؤلم أن بعض أبناء المسلمين قد تخصص في دراسة اللهجات العربية المعاصرة، أعني العامية بل ترى بعضهم ينادي بتدريس تلك اللغات في الجامعات !!

ولم يعلم هؤلاء أو علموا أن هدف أعدائنا يكمن في محاربة الفصحى، وتقريب العاميات وتشجيعها. يقول: «**ليفي أشكول**»[٢] إننا لن نسمح بوجود لغة واحدة، وشعب واحد، ودين واحد في الشرق الأوسط.

ولعل من المناسب أن نشير إلى أن أقطاب دعاة العامية في العالم العربي لم يجرؤ واحد منهم على كتابة آرائه وأفكاره في أي من كتبه باللهجة العامية، لأنه يعلم قبل غيره أنه بذلك يحكم عليه بالموت شنقًا ساعة الولادة، فهذا مثلا سلامة موسى ظل يدعو إلى هجر الفصحى والكتابة بالعامية ما يزيد على خمسين سنة، ولم يجرب يومًا أن يكتب بها مقالاً واحدًا، مع أن له مئات المقالات، فهم أول من يتنكر لها، ولكنهم يهدفون إلى شيء آخر هو عزل المسلمين عن مصادر عزهم ومجدهم وفصلهم عن دينهم وتراثهم.

٢- إلغاء الحرف العربي والكتابة بالحرف اللاتيني:

ومن الوسائل التي سلكها أعداء الفصحى الدعوة إلى إلغاء الحرف العربي والاستعاضة عنه بالحرف اللاتيني، وذلك بعد أن شعر أعداء الإسلام بأن الدعوة إلى العامية لم تجد قبولا مناسبًا ففكروا في

(١) انظر: تاريخ الدعوة إلى العامية (٩، ١٠).
(٢) انظر: الفصحى لغة القرآن (١٣٨).

طريقة أخرى تحقق لهم ما يريدون فجاءت هذه الفكرة الشيطانية.

وقد افتتح هذه الدعوة المستشرق الفرنسي "لويس ماسينون" عندما ألقى محاضرة في جمع من الشباب العربي في باريس عام ١٩٢٩م، ومما جاء في محاضرته: "إنه لا حياة للغة العربية إلا إن كتبت بحروف لاتينية" [١].

وقد تحمس لهذه الفكرة وتبناها عبد العزيز فهمي، فدعا إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، وطرح فكرته هذه في الجلسة التي عقدها مجمع اللغة العربية ٣ مايو سنة ١٩٤٣م [٢].

ومما جاء على لسانه قوله بعد أن تحدث عن الصعوبات التي تواجه دراسي العربية: «.. وهذه المشقة تحملني على الاعتقاد بأن اللغة العربية من أسباب تأخر الشرقيين، لأن قواعدها عسرة ورسمها مضلل». وانتهى إلى القول بوجوب تغيير رسم الكتابة العربية، وذلك باتخاذ الحروف اللاتينية.

ولنستمع إلى تفنيد هذه البدعة من باحث غربي ذلك هو "سير إدوارد بنسون" [٣] مدير مدرسة اللغات الشرقية في لندن، حيث قال: حذار من هذا يعني استعمال الحروف اللاتينية في كتابة اللغة العربية. . لأن الحروف العربية هي حروف لغة القرآن، وإذا مسستم الحروف العربية مسستم القرآن بل هدمتم صرح وحدة

---

(١) انظر: الفصحى لغة القرآن (١٧٥).
(٢) انظر: تاريخ الدعوة إلى العامية (٢٠٨).
(٣) انظر: الفصحى لغة القرآن (١٧٣، ١٩٠).

الإسلام.

إن الإسلام أساسه اللغة العربية، فإذا ضاعت ضاع الإسلام:

قد أشار إلى مثل هذا التخوف باحث غربي آخر هو "كارلو نلينو" (١) يقول الأستاذ/ عبد القادر حمزة (٢) :" فأولى للذين يقولون بالحروف اللاتينية أن يكشفوا القناع عن وجوههم، وأن يقولوا: إنهم يريدون في الحقيقة هدم اللغة العربية.

والهدف الذي يعلنونه: إنما هو تسهيل اللغة وتخفيفها ولكن الهدف الذي يرمون إليه، ولكنهم يخفونه إنما هو تضييع اللغة وتدميرها، لأنه لو تمت كتابة العربية بالحرف اللاتيني فإن اثني عشر حرفًا من حروف العربية ستضيع لعدم وجود الحرف المقابل لها في الحرف اللاتيني سواء في الإنجليزية أو الفرنسية، وهذه الحروف هي: الثاء، والجيم، والحاء، والدال، والذال، والصاد والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين، والقاف لأنه لا يوجد في الحروف اللاتينية ما يقابلها بنصها، وسوف تدخل في حروف أخرى وتضيع الحروف الأصلية، وهذا هو هدف أعداء الإسلام.

ثم ماذا سيكون مصير ذلك التراث العلمي الضخم الذي انتجته العقول المسلمة على مدار التاريخ؟ وماذا سيكون مصير القرآن والسنة؟ إن الهدف هو هدم العربية وتدمير الإسلام!!"

(١) انظر: الفصحى لغة القرآن (١٧٣).
(٢) انظر: الفصحى لغة القرآن (١٨٤).

٣- المناداة باللغة الوسطى:

بعد أن جرب الأعداء الوسيلتين السابقتين الدعوة إلى العامية، وإحياء اللهجات وهجر الفصحى، والكتابة بالحرف اللاتيني بدل الحرف العربي، ورأوا أن تأثيرهما محدود، فكروا في وسيلة ثالثة وهي اتخاذ لغة وسطى، وهي لغة الصحافة دون الفصحى وفوق العامية، وهي محاولة ماكرة هدفها فصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكتابة والتحدث لتكون خطوة أولى تمهد للخطوة التالية. وهي استخدام العامية، فأرادوا التدرج في ذلك، وقد حمل لواء هذه الدعوة جماعة منهم: فريد أبو حديد، وأمين الخولي وتوفيق الحكيم[١] .

٤- قضية تطوير اللغة:

بعد أن سلك الأعداء شتى السبل لهدم الفصحى وجدوا أن النتائج التي توصلوا إليها لم تكن مرضية ومشجعة ففكروا في وسائل أخرى أكثر تأثيرًا فخرج من ينادي بتطوير اللغة وإصلاحها وتهذيبها وتيسيرها.

وكلها أسماء ومصطلحات براقة وجذابة، والهدف المعلن جميل ونبيل، فهذه اللغة هي لغتنا كما يقول أصحاب هذه الدعوى ومن منطلق محبتنا لها وغيرتنا عليها وحرصنا على تقريبها إلى نفوس دارسيها ومتعلميها رأينا من المصلحة إجراء بعض العمليات

---

(١) انظر: المؤامرة على الفصحى (٥) وأجنحة المكر الثلاثة (٣٠٨).

التجميلية عليها، وإدخال بعض التعديلات الخفيفة لنجعل منها لغة عصرية مناسبة، ونزيل ما فيها من عوامل الصعوبة، ويقول هذا الفريق: إن الناس سينصرفون عن هذه اللغة الفصحى إلى العامية إن لم نبادر إلى إصلاحها وتيسيرها.

وهذه الدعوة أو هذه الوسيلة من أخطر الوسائل كما يقول د/ محمد محمد حسين [1] حيث يقول: «... وليس الخطر الكبير في الدعوة إلى العامية ولا هو في الدعوة إلى الحروف اللاتينية أو الدعوة إلى إبطال النحو وقواعد الإعراب أو إسقاط بعضها فالداعون بهذه الدعوات من صغار الهدامين ومغفليهم الذين ليس لهم خطر العتاة ممن يعرفون كيف يخدعون الصيد بإخفاء الشراك؟ وكيف يستدرجون الناس بتزوير الكلام إن الخطر الحقيقي في الدعوات التي يتولاها خبثاء الهدامين ممن يخفون أغراضهم الخطيرة، ويضعونها في أحب الصور إلى الناس، ولا يطمعون في كسب عاجل ولا يطلبون انقلابًا سريعًا».

الخطر الحقيقي هو في قبول مبدأ التطوير نفسه، لأن التسليم به والأخذ فيه لا ينتهي إلى حد معين أو مدى معروف يقف عنده المتطورون ولأن التزحزح عن الحق كالتفريط في العرض فالذي يقبل التزحزح عن الحق قيد أنملة مرة واحدة يهون عليه أمثالها مرة ثم مرات، حتى يسقط إلى الحضيض ومن اعتراه شك في حقيقة ما يراد بقرآننا وبلغته وبإسلامنا وكل تراثه فليقرأ قول طه حسين في كتابه:

(١) انظر: حصوننا مهددة من داخلها ص :٢١٣

"مستقبل الثقافة في مصر":

«وفي الأرض أمم متدينة كما يقولون، وليست أقل منا إيثـــارًا لدينها ، ولا احتفاظًا به، ولا حرصًا عليه، ولكنها تقبـــل في غـــير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التي تفكر بهـــا وتصطنعها لتأدية أغراضها، ولها في الوقت نفســـه لغتـــها الدينيـــة الخالصة التي تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدي فيها صلواتها..».

وقد تولى كبر هذه الدعوة وتصدى لها الدكتور/ طه حســـين. والهدف المنشور من وراء مبدأ التطوير إنما هو التحلل من قواعـــد النحو واللغة والتخلص من قوانينها وأصولها الثابتة.

يقول الدكتور علي العناني [١] : «إن تغيير قواعد اللغة العربيـــة صرفًا ونحوًا بالوضع فقط أو بالوضع والإزالة معناه إحـــداث لغـــة جديدة بقواعد جديدة وهذه اللغة العربية الجديدة إن صح اتصـــالها بالعربية الحالية المدونة اتصال اللهجة بالأم فإنها تبعد عنها شيئًا فشيئا حتى تختفي معالم الصلات بينهما أو تكاد، وعندئذ تكـــون اللغـــة العربية الحالية من اللغات الميتة» وهذا يعني أن تراثنا العلمي الضخم في كل الفنون والعلوم سيحكم عليه بالفناء وسيكون مجرد أطـــلال نقف عليها للبكاء.

---

(١) انظر: المؤامرة على الفصحى (٧، ٨).

الموقف من التطوير والتيسير

انقسم الباحثون تجاه هذه القضية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

يرى أن صعوبة النحو ناشئة من طريقة وضع القواعد النحوية، فهي ناشئة من النحو نفسه، فاتخذوا من التيسير والتطوير حجة لهدم الفصحى والقضاء عليها يتظاهرون بالشفقة والغيرة والإخلاص، ويخفون أهدافهم الحقيقية فنادى هذا الفريق إلى اتخاذ الوسائل المناسبة لإصلاح اللغة وتيسيرها وتطويرها لتناسب العصر، حتى لا يهجرها الناس وينصرفوا عنها إلى العامية.

فقالوا بإلغاء الإعراب، ونادوا بحذف بعض أبواب النحو التي لا حاجة إليها في نظرهم لكونها لا تستخدم ليأتوا بعد ذلك على البقية شيئا فشيئا. والتطوير بهذه الصورة مرفوض لكونه يهدف إلى مسخ اللغة وتشويهها ومن ثم القضاء عليها.

القسم الثاني:

يرى أن النحو مقدس، ويرفض كل ما يتصل بالتيسير والتطوير، بل إن كلمة التيسير والتجديد تحدث في نفوس هذا الفريق خوفًا وفزعًا حتى لو كان الأمر يتصل بتغيير كتاب أو تنظيم أو تنسيق جديد لا يمس جوهر النحو بسوء، ولا يصيبه بمكروه، والدافع لهذا الفريق بأن يقف هذا الموقف المتشدد هو شدة حبهم لهذه اللغة وخوفهم عليها.

القسم الثالث:

وقد اتخذ موقفًا وسطًا متميزًا لم يقف من التيسير موقف الرافض المتشدد، فنحن أهل التيسير ودعاة اليسر في كل أمورنا وشئوننا "يسروا ولا تعسروا.." ولكنه التيسير والتجديد الذي نفهمه نحن لا الذي يريده أعداء ديننا ولغتنا من كونه سلمًا للهدم وطريقًا للتدمير، وهذا الفريق يرى صعوبة النحو ليست في النحو ذاته ولا في قواعده وأصوله وتراكيبه، وإنما تكمن في تبويبه وترتيبه وطريقة تدريسه، فالجفاف يكمن في طريقة تقديم النحو. ولهذا فإن أصحاب هذا الرأي لا يرون أي بأس في اتخاذ أسهل الوسائل وأيسرها وأنجحها في تقريب المادة العلمية وتيسير وصولها إلى عقول متلقيها، كما أن أصحاب هذا الرأي يرون أن تحبيب المادة إلى عقول الطلاب والمتعلمين أمر في غاية الأهمية.

وذلك قد يستدعي إيجاد كتاب يكون مختصرًا مفيدًا مشتملا على القاعدة الواضحة والمثال الحي، والترتيب المشوق والإخراج المناسب مع المحافظة على جوهر النحو الأصيل دون تغيير في القاعدة الأصلية، والقانون الثابت إنما القابل للتجديد والتطوير هي الوسائل فقط، من كتاب وطريقة تدريس وغير ذلك.. وهذا أمر منطقي مقبول لا ضرر على اللغة منه.

إننا لا نرفض التجديد بهذه الصورة المتمثلة في إعادة النظر بين حين وآخر في المنهج المقرر والكتاب المدرس مع ضرورة تأهيل من يقوم بتلك المهمة العظيمة تأهيلا علميًا وتربويًا عاليًا يؤهله للقيام

بوظيفته بكل كفاءة وهمة واقتدار.

إننا نقول ذلك من منطلق حبنا لهذه اللغة: وغيرتنا عليها، لأن الهدف الذي من أجله نتعلم هذا العلم ونعلمه للناس هو المساعدة على الكتابة والنطق الصحيحين، حسب القواعد المعتبرة، والأصول المقررة، ولهذا فإن أي أسلوب تقدم به هذه المادة يؤدي إلى هذا الهدف النبيل والغاية السامية، فإننا نرحب به بشرط ألا يكون على حساب جوهر اللغة وأساسها المكين. وألا يؤدي ذلك إلى إلحاق أي ضرر بالفصحى لغة القرآن من قريب أو بعيد.

هذا هو الفرق: بين التيسير الذي ننشده ونسعى إليه، والذي يدفعنا إليه حبنا للغة القرآن وغيرتنا عليها وإخلاصنا لها، لا التجديد الذي يسعى إليه أعداؤنا والذي يعني الهدم والتدمير في النهاية.

هذا عرض موجز لتاريخ الهجوم على الفصحى: ومحاربتها من قبل أعدائها، وهذه هي الأخطار التي تهدد الفصحى، وهي وإن كنا الآن نمر عليها على أنها تاريخ أثير وطوي مع ما طوي من أحداث إلا أن خطرها ما زال قائمًا إلى وقتنا الحاضر. ألسنا نرى ونسمع بين حين وآخر بعض الدعوات من هنا وهناك تنادي بمثل تلك الدعاوي الزائفة، وما دام قطار الحق سائرًا فإن الصراع سيكون مستمرًا بين الحق والباطل بشتى الوسائل وكافة السبل، إلى أن تقوم الساعة.

واقع العربية اليوم

إن الناظر في حال اللغة العربية اليوم في مجتمعاتنا وبلادنا العربية والإسلامية يشعر بألم عميق، وحسرة شديدة لكونها لا تحظى بما تستحقه من احترام، وليست عندهم في المكان اللائق والموضع المناسب. ومؤلم جدًا أن تكون هذه النظرة وذلك الموقف من أبنائها وأحبائها لا من أعدائها الذين أشرنا إلى شيء من وسائل مكرهم وسبل كيدهم لها:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

إن أخطر ما يوجهه أبناء العربية لها العقوق والتنكر أو التجاهل وعدم المبالاة.

وقد أشرنا في الصفحات السابقة إلى نظرة سلفنا الصالح إلى لغتهم، وكيف كانوا يولونها من الرعاية والاحترام إلى درجة الاستخفاف بمن يخطئ في حقها، بل إن الأمر قد يصل إلى التأديب النفسي والجسدي لمن يلحن في اللغة.

فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتسلم خطابًا من أبي موسى الأشعري فيجد في الخطاب لحنًا فيكتب لأبي موسى« أن قنع كاتبك سوطًا» وفي رواية:« واصرفه عن عمله».

وهذا عبد الله بن عمر يضرب أولاده على اللحن من باب التأديب.

وهذا عبد الملك بن مروان: الذي يروي عنه أنه قال: شيبني صعود المنابر مخافة اللحن. دخل عليه ذات يوم رجل وعنده قوم يلعبون (الشطرنج) فطلب من غلامه أن يغطيها تقديرًا واحترامًا لهذا الضيف، فلما تكلم ولحن في حديثه طلب عبد الملك من غلامه أن ينزع غطاء الشطرنج قائلاً: ليس للاحن حرمة!!

هذه نماذج سريعة لما كانت تحظى به لغة القرآن من مكانة سامية ومنزلة عالية عن سلفنا الصالح رحمهم الله.

أما اليوم فالأمر يختلف تمامًا (فلغتنا تتعرض لألوان من الهجر والإقصاء والمضايقة والتشويه من أكثر أبنائها، وفي عقر دارها) يتمثل ذلك في الآتي:

١- أن لغة المستعمر للبلاد الإسلامية هي لغة الشعوب المسلمة في تلك البلاد في أكثر دول أفريقيا وآسيا وترى القليل من المسلمين يحسن اللغة العربية ، ويعرف لها قدرها، أما البقية فهم لا يحسنون غير لغة المستعمر، مع أنهم مسلمون وكان من الواجب أن يتقنوا لغة القرآن، لغة دينهم وعبادتهم.

٢- إن اللغة الأجنبية هي لغة التعليم الجامعي، في الأقسام العلمية في كثير من جامعتنا بل في جامعات الدول العربية، فالطب والهندسة والعلوم وغيرها من العلوم التجريبية كلها لا تدرس إلا باللغة الأجنبية مع قدرة اللغة العربية وسعتها، فالعدول عنها إلى اللغة الأجنبية وعدم وجود محاولات جادة لتعريب تلك العلوم أمر مؤلم ومحير.

٣- أن من المؤسف جدًا أن تكون اللغة السائدة في المراكز الصحية والمستشفيات وكذلك في الفنادق هي اللغة الأجنبية مع أن غالبية الأطباء والعاملين في تلك المؤسسات والمواقع من العرب.

إن المرء يشعر بالألم والحسرة عندما يتسلم وصفته الطبية فيجدها مكتوبة بلغة أجنبية أو (فاتورة) حسابه في الفندق فيجدها كذلك. بل إن الألم يزداد وتتضاعف الحسرة حينما تبحث عمن يحسن العربية في تلك المواقع فلا تجده.! فمن المسؤول عن هذا التخاذل والتنكر؟

٤- أن من مظاهر الغزو الأجنبي ذلك الكم الهائل من المفردات التي تسللت إلى لغتنا العربية: في حين غفلة من أهلها، فلا تكاد تستمع إلى متحدث إلا وتجد في ثنايا حديثه بعض تلك الكلمات وبخاصة معشر المثقفين غير مدركين لخطورة هذا المسلك وقد كره الإمام الشافعي رحمه الله، لمن يعرف العربية أن يسمي بغيرها، وأن يتكلم بها خالطًا لها بالعجمية! وهذا الذي ذكره مأثور عن الصحابة والتابعين .. [1].

وقد روى السلفي من حديث سعيد بن العلاء البرذعي.. عن أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق**»[2].

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٥).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٥).

كما أن شيخ الإسلام ابن تيمية [1] رحمه الله قد كره أن يتعود الرجل النطق بغير العربية، لكون اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون.. يقول: «وأما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة.. فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم..».

والأمم التي تحترم لغتها وتضعها في مكانها اللائق بها لا ترضى لها بمثل هذا التداخل والاختلاط، فهذا المجمع العلمي الفرنسي ينادي بإبطال كلمة "إنجليزية" تسللت إلى الفرنسية من أثر الحرب الكبرى، وقد عدها المجمع الحريص على لغة قومه وأمته، نكبة على اللغة، كأنها جندي دولة أجنبية في أرض دولة مستقلة! وما فعلوا ذلك إلا لأن التهاون يدعو بعضه إلى بعض، والغفلة تستدعي مزيدًا من الغزو والنكبات.

ترى كم في لغتنا من الدخيل أو بتعبير المجمع العلمي الفرنسي كم في أرضنا من الجنود الغرباء.

إن مسؤولية مجامع اللغة العربية وأقسام العربية في جامعاتنا جد عظيمة في الدفاع عن لغة القرآن، وصد هذا السيل الجارف من المفردات الأجنبية التي تتسلل إلى لغتنا كل يوم، فيتلقفها الناس مستخدمين لها فتصير مع الزمن مفردة محلية مستأنسة. إن الواجب هو تعريب تلك المصطلحات والمفردات قبل دخولها ليتعرف الناس

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٦).

على المسمى العربي قبل غزو المفردة الأجنبية.

٥- ومن مظاهر هجر الفصحى وغربها تلك النظرة المتميزة لمن يتكلم: أيا من اللغات الأجنبية وبخاصة الإنجليزية في الوقت الذي يلاقي فيه من يحاول أن يتحدث بالفصحى شيئًا من الاستهزاء والسخرية من المجتمع الذي يعيش فيه، وربما يكون ذلك في بعض الأوساط العلمية التي من المفترض في روادها أن يلتزموا العربية الفصحى دون تقعر أو تشدد في التماس الغريب.

٦- أن من مظاهر عدم الاهتمام باللغة وغربتها بين أهلها ما يلاحظ على بعض معلمي المراحل المختلفة بشكل عام، ومعلمي اللغة بشكل خاص من ضعف في المستوى العلمي، فترى بعض المعلمين لا يحرص على الالتزام بالفصحى أثناء تدريسه للطلاب، بل إنه لا يستخدم إلا اللهجة المحلية، وذلك يعود لسببين اثنين:

أولهما: عدم اهتمامه بالعربية الفصحى.

وثانيهما: عدم إلمامه بقواعدها وأصولها.

ومن المؤلم حقًا أن نرى ونسمع بعض الأساتذة في بعض الكليات والمعاهد المتخصصة وهو في فصله أو أثناء مناقشة الرسائل العلمية يستخدم غير الفصحى بكل جسارة.

وقد أخرج لنا هذا المستوى المتواضع جيلا ضعيف المستوى لا يحمل للغته ما تستحق من حب وتقدير وإجلال، لكونه لا يرى في محيطه العلمي والاجتماعي من يعينه على تكوين تلك النظرة السامية، وذلك الموقف النبيل.

وقد ساعد في إفراز هذا المستوى المتدني لطلابنا في اللغة إضافة إلى ما سبق عدم وجود المنهج الدراسي المختار بعناية، وبعد دراسة متعمقة ولو أردنا أن نسأل هل هناك تحديد دقيق من حيث الكم والكيف لما ينبغي أن يحصل عليه الطالب من حصيلة لغوية في كل مرحلة دراسية؟ وهل هناك حصر للألفاظ والأساليب والتراكيب، التي استطاع التلميذ أن يحصل عليها في نهاية كل مرحلة؟ لجاء الجواب مفزعًا. إن تعليم اللغات خارج الوطن العربي يخضع لدراسات علمية دقيقة يتوافر عليها مجموعة من خبراء التربية والتعليم واللغات والاجتماع، تحدد ما هو مطلوب لكل مستوى، كما أنهم قد قاموا بإعداد معجمات وقواميس لغوية تناسب كل مرحلة وتحتوي على المفردات التي درسها الطالب في تلك المرحلة، روعي فيها المستوى الفكري والزمني للطالب.

٧- أن من مظاهر غربة اللغة وعدم الاهتمام بها بالصورة المطلوبة: ما نراه ونشاهده من أخطاء جسيمة ومخالفات لغوية ونحوية واضحة في اللافتات واللوحات المعلقة على واجهات المحلات التجارية كما أننا نلاحظ بعض المسميات الدخيلة على لغتنا وكثيرًا ما تزاحم اللغة الأجنبية لغتنا الأصلية، فتكتب بخط عريض، وشكل جميل ينافس لغة البلاد المعتبرة.

فمن المسؤول عن هذه التجاوزات وتلك الأخطاء المؤلمة؟ وأين أثر الجهات المختصة وأصحاب القضية من ذوي الغيرة والإخلاص لدينهم ولغتهم؟!

٨- أن من مظاهر غربة اللغة وقلة الاهتمام بها الاحتفاء بالآداب الشعبية والأشعار العامية فترى الصحف تتسابق في خدمة هذا النوع من الأدب ونشره، والتشجيع عليه، وتفرد له الصفحات، وتخصص له الملاحق. وهذا بلا شك دليل على ضعف المستوى التذوقي عند بعض أفراد الأمة. وفي هذا التشجيع لكتابة هذا النوع من الشعر صرف للناشئة عن كتابة الشعر العربي الأصيل.

واجبنا تجاه لغة القرآن

ظهر من خلال العرض السابق ما تعانيه لغة القرآن من غربة بين أهلها وأبنائها وأشرنا فيما سبق إلى ما قام ويقوم به أعداء الإسلام والعربية من جهود كبيرة لمحاربة هذه اللغة بمختلف الوسائل وشتى السبل. وهم في الوقت الذي يحاربون فيه لغة القرآن يبذلون كل ما يمكن من أجل خدمة لغاقم ونشرها، وتيسير تعلمها لكل من يرغب في ذلك فتراهم يفتحون المراكز، ويقيمون المعاهد التي تقوم بمهمة تعليم لغتهم، مع أنها لغات لا رصيد لها ولا جذور.

أما نحن فلغتنا العربية لغة دين بها نزل خير الكتب وآخرها فصارت بذلك لغة للمسلمين في كل مكان، يجب عليهم تعلمها وتعليمها وخدمتها ونشرها.

فما الواجب علينا إذن تجاه هذه اللغة؟

يجب علينا أن نقوم بخدمة هذا اللغة، وتيسير أمر تعلمها للمسلمين وغير المسلمين. وذلك بأن تقوم الحكومات الإسلامية والهيئات والمؤسسات الخيرية والتعليمية والدعوية بافتتاح المدارس والمراكز والمعاهد في مختلف بلاد العالم، وبخاصة البلاد الإسلامية من أجل نشر لغة القرآن، وتقريبها إلى نفوس وقلوب وعقول المسلمين، لأن أمر تعلمها كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فرض واجب لكونها من الدين، ولكون فهم الكتاب والسنة من الأمور المتحتمة على المسلمين.. وهي لا تفهم إلا بفهم اللغة العربية والقاعدة تقول: إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

فمسؤوليتنا معشر العرب عظيمة أمام الله عز وجل، نحو إخواننا المسلمين المتعطشين إلى تعلم لغة دينهم وقرآنهم.

كما يجب علينا: أن نعد الأستاذ المؤهل المحب للغته والمتمكن منها ليقوم بمهمة التدريس، ومسؤولية التعليم، لأن هذا النوع من الأساتذة سيتفانى في خدمة هذه اللغة ويضحي من أجلها، وسيعمل جاهدًا من أجل تحبيب اللغة للناشئة فيقبلوا عليها بنفوس مفتوحة، وقلوب متلهفة .

كما أن على الجهات المسئولة إعادة النظر في مناهج التعليم بين الحين والآخر، واختيار المناسب الذي يحقق الهدف، ويخدم القضية التي ننشدها، وهذا بلا شك يتطلب إعداد كتاب مناسب يقوم بتأليفه وإعداد مادته وصياغتها نخبة من أساتذة التربية واللغة العربية، يراعي فيه متطلبات كل مرحلة من المفردات، والألفاظ والتراكيب والأساليب، مع العمل على إيجاد قواميس مناسبة لكل مرحلة تحوي ما درسه الطالب من حصيلة لغوية على أن يكون لكل مرحلة قاموسها المناسب لها.

وأخيرًا فإن الأمة التي لا تحافظ على لغتها تفرط في هويتها وتضيع ماضيها، وتخسر مستقبلها، وكما يقول الرافعي: يرحمه الله: "ما ذلت لغة شعب إلا ذل. وما انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار.. فعلينا أن نعمل جاهدين من أجل المحافظة على هذه اللغة عزيزة قوية، نصد عنها كيد الأعداء، وهجمات المتربصين وسهام الحاقدين".

إن العمل لخدمة هذه اللغة والدفاع عنها نوع من أنواع العبادة يتقرب به فاعله إلى ربه.

إننا على ثقة تامة بأن الله ناصر دينه، وحافظ كتابه ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ وحفظ هذا الكتاب العظيم حفظ للغة التي نزل بها.

فهــرس المراجــع

أباطيل وأسمار لمحمود شاكر.

القاهرة- مطبعة المدني- الطبعة الثانية.

الإتقان: لجلال الدين السيوطي تحقيق/ محمـد أبـو الفضـل إبراهيم.

أجنحة المكر الثلاثة: لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

بيروت — دار القلم — الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

الإحكام في أصول الأحكام: لسيف الدين أبي الحسن علي بن محمد الآمدي.

تعليق/ عبد الرزاق عفيفي الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ.

أشتات مجتمعات في اللغة والأدب لعباس محمود العقاد

دار المعارف- الطبعة السادسة.

الأضداد :لمحمد بن القاسم الأنباري.

تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

الكويت — سلسلة التراث العربي ١٩٦٠م.

الاقتراح لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

سوريا- دار المعارف بحلب.

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ

الإسلام ابن تيمية مطابع المجد التجارية.

ألف باء: لأبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي.

بيروت- عالم الكتب.

الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي. تحقيق الدكتور/ مازن المبارك. بيروت- دار النفائس- الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ.

البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. تحقيق/ محمد أبو ا لفضل إبراهيم، بيروت – دار المعرفة ١٣٩١هـ.

بهجة المجالس وأنس المجالس لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي.

تحقيق: محمد مرسي الخولي.

مصر الدار المصرية للتأليف والترجمة.

البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق/ عبد السلام هارون. بيروت – دار الفكر.

تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر لنفوسة زكريا سعيد- مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد/ أحمد صقر.

دار التراث، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

تنبيه الألباب على فضائل الإعراب لأبي بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني.

دراسة وتحقيق الدكتور/ معيض بن مساعد العوفي.

جدة ، دار المدني، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ

حصوننا مهددة من داخلها للدكتور/ محمد محمد حسين. بيروت، المكتبة الإسلامي، الطبعة الخامسة ١٣٩٨ هـ.

الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق/ محمد علي النجار، بيروت، دار الهدي، الطبعة الثانية.

شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش بيروت، عالم الكتب.

الصاحبي لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق/ السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

طبقات النحويين واللغويين: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر، دار المعارف.

عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. مصر، سلسلة تراثنا، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب.

الفصحى لغة القرآن: لأنور الجندي. بيروت، دار الكتاب اللبناني.

قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله لجلال العالم الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ.

الكوكب الدري فيما يخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية للإمام جمال الدين الأسنوي، تحقيق الدكتور/ محمد حسن عواد. عمان، دار عمار، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

المؤامرة على الفصحى لأنور الجندي القاهرة، دار الاعتصام.

مراتب النحويين: لأبي الطيب اللغوي عبد الواحد بن علي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر، دار نهضة مصر.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي. عناية/ محمد أبو الفضل إبراهيم وجماعة. مصر، دار إحياء الكتب العربية.

معجم الأدباء لياقوت الحموي: بيروت ، دار الفكر الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد.

بيروت، دار الكتاب العربي.

مقدمة في النحو من إملاء الشيخ/ محمد بن أبي الفرج الصقلي المعروف بالذكي.

تحقيق/ الدكتور محسن سالم العميري.

مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية ١٤٠٥ هـ.

نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري.

تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

مصر، دار نهضة مصر.

فهرس الموضوعات

